

لقطة



قصة: محمد البساطي

« نفس الشعر الأسود .. والحاجبين
الكثيفين .. »

ابتسمت مرة أخرى .. همست : -

« كنت تريد .. لقد قلت .. أنك
تريد أن تقول شيئا .. »

انفجرت أساريه مرة واحدة : -

« كنت أعبر الشارع .. أتعرفين ؟
.. فكرت .. كنت تقفين أمام السيئنا ..
.. رأيتك .. كان شيئا غريبا أن أراك ..
في هذا الوقت بالذات .. »

« لم .. ؟ »

بدا أنها سيطرت على نفسها فجأة .
رفعت وجهها إليه . **التقطت عيناه**
عينيهما . كانت هناك رعشة خفيفة على
زاوية فمه ، ووجهه شاحب .. شحوبا
عميقا ..

« لا أعرف .. الحقيقة .. شعرت
.. شيء غريب .. كنت أفكر فيك لحظتها
.. كنت أقول .. أقول لنفسي .. لو
أراك أمام هذه السيئنا .. ثم .. ثم
رأيتك .. »

تأملت عيناه فجأة .

أضواء السيارات تندفع الى الداخل
كالعاصفة ، فتنعكس على المرايا في بريق
خاطف .. مجنون .. ثم تختفي ..

نهض صاحب المحل في تناقل .
زحف بجسده السمين الى الباب . نظر
في تجمه الى المطر المتساقط ، والمياه
المتجمعة تنزلق في هدوء - دون أن
يشعر بها أحد - الى البالوعات . هز
رأسه في ضيق ، عاد الى مقعده خلف
البنك الصغير .

رفع الشاب عينيه الى السقف . انتقل

دلف الاثنان الى المحل . كان المطر
يتساقط خفيفا بالخارج . المحل صغير ..
يقع على ناصية الشارع الرئيسي . تبعهما
صاحب المحل بعينيه حتى جلسا الى
متضعدة بالركن ، ثم عاد يحملق مرة
أخرى في الشارع .. خلال الزجاج .

تأملت الفتاة أناملها في ثبات . دار
الشباب بعينيه القلقتين في المحل ..
الضوء بالداخل هادي ، وباب المحل
موارب .. يسمح بدخول ضجيج
الشارع ، والمرايا المستطيلة تحيط
كالحزام بمنتصف الجدران . استقرت
نظراته على أناملها .

خرج صبي من خلف حاجز داخلي .
جفف يديه في جلبابه . وقف أمامهما
صامتا .

قال الشاب : « **ماذا تشربين .. ؟**
حليب .. ؟ »

« التفت الى الغلام - **كوبين لبن** ..
وزبادي أيضا .. » انصرف الغلام متباطئا
كالسحفاة . اختفى خلف الحاجز ..

قال الشاب مبتسما : « **كنا نفعل ذلك**
.. منذ .. كم سنة مرت .. ؟
ثلاث .. ؟ »

نظرت الفتاة الى أصابعها في صمت .
أسند الشاب كوعيه الى **المنضدة** :

« لم أصدق .. حين رأيتك لم أصدق
عيني .. ولكن .. ان ملامحك كما هي
.. لم يتغير شيء .. »

ابتسمت ابتسامة صغيرة . رفعت
عينيها . فوجئت بعينيه قريبتين ..
تكاد أن تلمسا وجهها . خفضت
بصرها ..



« قلت .. أن هناك شيئاً .. »

مز رأسه هزات قصيرة عصبية :

« نعم .. كنت أريد أن أقول .. »

صمت فجأة . نظر الى عينيها نظرات عميقة فاحصة . أمسك بأناملها . بدا عليها شيء من التردد . لكن أناملها ظلت في يده ..

نظره بسرعة الى المرايا .. وحببات المطر
الملتصقة في عناد بالزجاج الخارجى .
حملق لحظة في أرض الشارع :

« مازالت تمطر .. أتستعجلين نفس
الطلاب لأظافرك .. ؟ »

أومات برأسها .

« كنت تنتظرين زوجك .. ؟ »

قال فى حدة : - « بهارة ؟ »
ابتسمت عيناهما : - « بهارة ؟ »
انتظرت وقتا أن ..

- ماذا 4 ..

خطت بإصبعها متعرجا على سطح
المنضدة : -

- « انتظرت أن أسمع عنك .. أقصد
.. تصبح عازفا مشهورا »

ضاحت عيناه قليلا . التفت فجأة
خلفه :

- « هكذا .. لقد تأخر الولد ..
ماذا يفعل .. ؟ »

رد صاحب المحل : « سيأتى حالا ..
محمود » ..

ظلت رأسه منكسة على البنك ،
وعيناه فى الشارع . قال الشاب :

- « هل أنت راضية .. ؟ .. أقصد
.. حياتك الجديدة . »

تأملته فى رقة : « لى طفل ..
- طفل .. ؟ »

ابتسم - ما اسمه .. ؟
- أحمد ..

- حديثى عنه ..

- ولد شقى جدا .. لا يكف عن
الصراخ ..

- كلا .. أقصد .. زوجك .. «

صمتت . نظرت إليه نظرة حذرة .
كف المذباغ عن الحشرجة ، واستقام
صوته . رفع صاحب المحل رأسه :
« ها .. أخيرا .. عشرون عاما وهو

- « كنت تغضبين .. حين أقول ..
أن تك يدى رجل .. أصابع طويلة ..
كانت هنا زائدة صغيرة بخنصرك .. ؟
- أزلتها ..

هز رأسه موافقا : - « كانت
تعجبى .. »

- الوقت تأخر .. يجب أن أذهب ..
- مازالت تمطر .. انسا لم نشرب
اللبن بعد .. «

ساد الصمت بينهما . أرخى ظهره
للوراء . عقد ذراعيه على صدره . حملق
ساعما الى أرجل المنضدة . انبعثت
حشرجة من الراديو . مد صاحب المحل
ذراعه . جذبه اليه متمتما فى غضب :-

- « المطر .. لا أكره شميئا مثل
المطر .. »

كان الراديو قديما ضخما . عبت لحظة
بأزراره . استمرت الحشرجة كأنما
ستمرقه . دفعه بعيدا عنه . التفت الى
الشاب لحظة ، ثم عاد يحملق فى
الشارع .

قالت الفتاة : « وأنت .. ماذا تفعل
الآن .. ؟ »

- لا شئ .. مدرس .. مجرد مدرس
موسيقى ..

- والبيانو .. ؟ .. هل تركته ؟ ..
رفع عينيه . كان يسودهما هدوء
غريب . واختفت الرعشة من فوق
شفثيه ..

- نعم تركته .. منذ مدة .. لا أدري
.. مدرس وكفى ..

- أذكر .. أقصد .. أنك كنت تعزف
بمهارة ..

ويداه في خصره • بصق في غضب ،
وعاد الى مقعده •

قال الشاب : - لقد تركت البيانو
•• تركته تماما ••

- متى حدث ذلك •• ؟

- لو أنني اخترت طريقا آخر ••
•• ربما ••

- متى حدث ذلك •• ؟

- لا أدري •• كل شيء كان على مايرام
•• ثم •• في مثل هذه الأمور ••
لا يعرف أحد •• متى بدأت النهاية ••

- ولكن •• يمكنك أن تبدأ من جديد
ضحك : « لقد ذهب بريق الخطوة
الأولى •• الأمر ليس تدريبا •• ليس
تدريباً •• مجرد •• »

- لا أفهم •• لقد كنت ••

- نعم كنت •• هنا النقطة •• لقد
كنت •• والآن •• ؟ مجرد أن أفكر
•• أن أقترب من البيانو •• مجرد أن
يمر هذا الحاضر في رأسي ••

صمت فجأة •• وعيناه ثابتتان على
بقعة داكنة على سطح المنضدة ••

- « أحيانا •• أقرر أن أبكي ••
هكذا •• فجأة •• الأمر مضحك ••
أقرر أن أبكي •• أقلل الحجر ••
وأتمدد •• أسترخي تماما •• ثم
أبدأ البكاء •• الأمر مضحك •• »

ابتسمت الفتاة : - « ألم تجد
صعوبة مرة •• ؟ »

- أحيانا •• ثم أفكر في شيء حزين
•• وأبكي •• »



على ما يرام •• ثم يحدث ذلك ••
جذب المذياع اليه •• كأنما يستحضنه ••
مز رأسه في رضى •• وهو ينصت الى
الصوت الرخيم •• مرت لحظة •• انفجرت
المشرفة مرة أخرى ••

نهض مز مجرا : « لا فائدة •• الراديو
سليم •• سليم •• ولكن •• لا أحد
يعرف •• »

نظر الشاب اليه صامتا ••
استدار صاحب المحل •• وقف بالباب

وضع الغلام كوبين من اللبن أمامهما ،
وانصرف .

- وعملك الجديد .. ؟ .. يمكنك
أن تجد فيه ..

- متعة .. ؟ .. كلا .. مجرد
أشياء مرصوفة بجوار بعضها ..
اليوم هو الغد .. هو الغد ..
هكذا .. لا أحلام إطلاقا ..

- أقصد .. لو أن .. شيئا من
الحماس ..

- حماس .. ؟ من أين .. ؟ ..
هل ستدخلان السينما الليلة .. ؟ ..
أنت وزوجك .. ؟

أومات برأسها : - « سيخرج من
عمله مباشرة الى السينما .. في
الثامنة .. »

- مازال هناك وقت .. هل هو
قريبك .. المهندس .. ؟

نظرت اليه فى صمت . قال
بهتسا :

- « لا أدري .. لقد فكرت كثيرا
الأمير يبدو غامضا .. مضطربا .. مرة
الوم نفسى .. ومرة .. أفكر أنه ..
كان يجب أن يحدث ذلك .. »

- « لقد أخبرتنى .. أنت تذكر
قبل رحيلك .. قلت أنك .. أنك
لا تريد الزواج .. »

- « نعم حدث ذلك .. حدث ..
أذكر جيدا .. كان هناك البيانو ..
- كلا .. ليس البيانو ..

- لقد فكرت .. كنت أفكر .. أن
حياتنا معا .. ستكون مضطربة .. «
- كلا .. ليس هذا سبب رحيلك ..

- الحقيقة .. لا أدري .. كان يجب
أن أرحل .. وقتها .. كنت أفكر ..
أنه يجب أن أرحل .. كانت المدينة
صغيرة .. صغيرة جدا .. مغلقة ..
بانسة تماما .. وأنت تجلسين فى
هدوء ، جانب أمك .. تنظمين كل شيء ..
تضعينه فى مكانه المناسب .. وتحلمين
ببيت هادئ .. وأولاد .. تصنعين لهم
بلوفرات .. يستحمون كل يوم ..
يجلسون حولك فى أناقة .. أنت
ترين .. أنا لم أخطئ .. ثم هناك
القطار .. كان لا يكف عن الضجيج
تحت النافذة .. فى الصباح .. فى
الليل .. كل ساعة .. كان ضجيجه
يوقظنى من النوم .. وحين أطل من
البلكونة .. كنت أراه .. يتلوى على
الشريط كالثعبان .. وهو ينفث
الدخان .. كأنما يغيظنى .. وأحيانا ..
كان السائق .. يقف تحت النافذة ..
ويظل طول الوقت يصفر .. يصفر .. «
- « كانت هناك .. امرأة أخرى .. »

- غيرك .. ؟ .. كلا .. أنت
تعرفين .. لم تكن هذه الأمور تشيرنى ..
الضوضاء كانت هنا .. فى رأسى ..
المدينة .. والناس .. والناس ..
وقلت لك يومها ..

- ظننت .. أنك لا تريدنى ..
- كلا .. قلت لك تعالى معى ..
قلت لك ذلك .. وكان يجب أن أرحل
بسرعة .. كان النادى لا يطلق ..
نفس الناس .. نفس النظرات ..
والاهتمامات الصغيرة .. السخيفة ..
كل يوم .. كل يوم .. كنت أحس أن
موهبتى تموت .. وأنتى فى حاجة الى
.. الى ..



– لم تكن تريدني معك ..
 – قلت لك تعالى معي ..
 – نعم قلت .. لكنك .. لم تكن
 تريد ذلك ..

– لا أدري .. كل شيء كان مضطربا
 أمامي .. كنت أريد أن أجري ..
 أجري .. «

دلف رجسلان الى المحل . أحدهما
 يحمل معطفا على ذراعه . الآخر قصير
 منتهي .. يضحك بالضحك .. قال مشيرا
 الى صاحب المحل : – « هو .. هو ..
 لا يتغير .. بعد مائة عام .. ستجده في
 نفس المكان .. »

– « يا حاج .. زبادي .. أما نائم ..
 وأما يحتمل في الشوارع .. هيه ..
 انهض .. زبادي .. هووه .. »

اختفت الحشجة فجأة . مرت لحظة
 صمت قصيرة .. وصاحب المحل ..
 يرمق الراديو في ترقب .. تعثر الصوت
 مرة أخرى ، وطن أزيز رفيع صاحب ..
 دمدم صاحب المحل ساخطا : –

– « ثم ماذا .. لقد ركبت العفاريت
 .. ليس به أي عطب .. كل هذا بسبب
 المطر .. »

قال القصير ضاحكا : – « اقله ..
 ماذا تريد أن تسمع منه .. ؟ »

– لا شيء .. صوته .. مجرد صوته
 بدون هذه الخرفشة
 – صوته فقط .. ؟ .. وأخبار
 الكرة .. ألا تريد .. ؟

– آه .. الكرة ..
 – والحرب .. أخبار الحرب في
 اليمن .. ؟

– حرب .. ؟ .. لا مانع .. قليل
 من الأخبار ..

ضحك رفيقه ، وجلس ..
 قال القصير : – « تذوق طعام الزبادي
 هنا .. وستأتي من نفسك بعد ذلك ..
 رائع .. رائع .. »

قال رفيقه : – « سنرى .. »
 – من سنتين .. وأنا أتناول عشائني
 هنا .. كل ليلة .. زبادي وبعض
 السكر .. أحب أن أتناوله مع السكر ..
 أسأله – أشار الى صاحب المحل –
 أسأله .. »

ابتسم رفيقه ، ودعك أنفه ..
 قال القصير : – « أسأله .. هيا ..
 أسأله .. وسيقول لك .. سنتان وأنا
 أفعل ذلك .. تذوق طعام الزبادي
 بالسكر .. جرب ذلك .. مرة واحدة ..
 وسترى ..
 – أرى ماذا .. ؟

– « كل شيء سيكون رائعا ..
 معدتك تدور في هدوء واتزان .. دون
 دربكة .. »

قهقهه ضاحكا .. وخبط المنضدة بيده ..
 التفت اليه صاحب المحل . قال القصير :



واستسلمت لها تماما .. كانت تتنابنى
 نوبات .. لا أطيق أن أرى فيها أحدا ..
 سؤال واحد كان يلح في جنون .. ماذا
 تفعل الموسيقى .. ؟ .. ماذا تفعل ؟ ..
 .. هل تستطيع أن تغير شيئا .. ؟ ..
 أقصد .. »

- « أنا .. لا أفهم .. كيف ؟ هذه
 الأسئلة .. »

- « كما ترين .. لم أستطع أن أقنع
 نفسي .. اننا لا نصل الى ماتريده أبدا
 .. هناك دائما شيء ناقص .. وحين
 عدت .. لم أجدك .. قالت أمك ..
 أنك تزوجت ورحلت الى القاهرة ..
 كنت في أشد الحرج .. لم أصدق أن
 هذا يمكن أن يحدث .. وأمك تبسّم
 في وجهي في سعادة كاملة .. دون
 مراعاة لشعوري .. كانت تكرهني .. »

- لم تكن تكرهك .. كانت تظنك
 مغرورا .. »

- ثم عملت مدرسا بالصعيد .. جئت

التفت القصير الى رفيقه : - « حرب
 صغيرة .. هادئة .. » وهز رأسه في
 ثقة ..

ضحك رفيقه : - « هادئة .. ؟ ..
 حرب هادئة .. ؟ .. الحرب حرب .. »

- انها تخلق الأبطال ..

- الحرب لا تصنع أبطالاً ..

- ولكنها واجبة .. أحيانا .. ؟

قالت الفتاة : - « يجب أن أنهض
 سيأتي زوجي الى السينما في الثامنة .. »
 - مازال هناك وقت .. رأيته مرة
 عندكم .. قلت لي مرة .. أنه يريد
 الزواج منك .. ظننت الأمر يومها ..
 مجرد دعاية ..

ابتسمت الفتاة في صمت ..

- « كانت القاهرة تجذبني دائما ..
 سنة كاملة تفرغت فيها للموسيقى ..
 ثم .. لا أدري كيف .. احساس ..
 كما لو أنني تنبهت فجأة .. أسئلة
 كثيرة كانت تتزاحم في رأسي .. »

في أجازة أسبوع .. وسأرحل غدا ..

- والبيانو .. ؟

- انهم .. هنا .. في القاهرة ..
يجرون بسرعة .. كنت أظن أنه يمكن
العودة .. ولكن ...

- أنت أيضا كنت تعزف بمهارة ..
مجرد أن تتحمس .. وتبدأ ..

أحسست فجأة بابتسامته ، ونظراته
الفاحصة . صمتت . نظرت حولها في
قلبي ..

- « كان يعجبني حديثك دائما ..
تتحمسين لكل شيء .. »

- الساعة الآن الثامنة ..

- كانت أياها قاسية .. في الصعيد
.. الحقيقة .. كنت أفكر فيك كثيرا ..
حين أقلق الحجره .. وأستعد للنوم ..
كان الأمر قاسيا .. أحيانا أتذكرك ..
فجأة .. في الفصل .. أو .. أى مكان
.. مجرد أن أتخيل .. انى تركتك ..
هكذا ..

- يجب أن أذهب ..

- كنت أشعر .. طول هذا الوقت
.. أشعر .. أنتى .. مسئول عنك ..
ظل هذا الشعور .. حتى بعد أن عرفت
بزواجك .. لا أدري .. الأمر يبدو ..
- « يجب أن أذهب .. »

وقفت ..

- « هل تذهيبين الآن .. ؟ » . ظل
جالسا يرقبها وهى تدفع أصابعها الطويلة
داخل القفاز ..

- « بهذه السرعة .. ؟ .. ابقى

قليلا .. خمس دقائق أخرى .. »

- « لا بد أنه ينتظر الآن .. أمام
السينما .. » .

- « آه .. زوجك .. هل سأراك
غدا .. قبل سفري .. »

- لا أستطيع .. أنت تفهم ..
مدت يدها اليه . ظل جالسا يحمق
نحوها في صمت . بدت الرعشة بوضوح
على شفتيه .

ابتسم قائلا : - « اذن .. أسير معك
قليلا .. »

- كلا .. أنت تعرف .. أقصد ..
هز رأسه مبتسما . نهض . قالت في
تردد : -

- « كنت تريد .. قلت .. أن هناك
شيئا تريد قوله .. »

- « كلا .. لا شيء .. أبدا .. كنت
أريد فقط أن أتحدث مع أحد .. »
نظر الى صورته المنعكسة في المرأة .
كان ضوء النيون هادئا .. والمطر توقف
في الخارج . سارا معا حتى باب المحل .
ظل واقفا يرقبها وهى تعبر الشارع ..
في خطوات سريعة ، ثم تسير على الرصيف
المقابل .. كانت الحفر الصغيرة الممتلئة
بمياه المطر .. تشهق تحت ثقل عجلات
السيارات المارة .. ويتناثر منها رذاذ
دقيق من الوحل . نظر برهة .. الى
طابور السيارات الطويل . سمع صوتا
يتعمت بجواره : -

- « لا بد أنها ستمطر مرة أخرى .. »
التفت خلفه . كان صاحب المحل ينظر
متجهما الى المياه المنزلفة نحو البالوعة ..
هز كتفيه .. ومضى ..

محمد البساطي